Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من مطالع مختلفة :

من أقرب الشعراء إلى وضوح النفسية فى شعره وخصوصاً المطلع هو البحترى ، ولذلك نستطيع فى غالبية شعره أن نحس انفعاله ، وأن نتبين معالم نفسيته نحو الموضوع من مجرد سماع المطلع ، فإذا استطعنا أن نعرف شيئاً عن ملابسات القصيدة والأحوال التى قالها فيها فإننا سنجد حينئذ نفسية البحترى فى المطلع ناطقة معبرة عن ذاتها ، وإذا لم نستطع فإننا على الأقل نشعر بالاتجاه العام لنفسيته فمن المطالع التى نستطيع أن نعرف شيئاً عن ملابساتها قصائده فى إبراهيم بن الحسن بن سهل البرمكى ، وتبلغ عشر قصائد متفرقة فى الديوان فلننظر إلى أحد مطالع هذه القصائد ، حيث يقول :

أَحْرى الخطوبِ بأن يكون عظيما قولُ الجهولِ أَلا تكونُ حليما ؟

فالقصيدة موضوعها مدح ظاهر ، وهى تبلغ اثنين وأربعين بيتاً حافلة بألوان من المدح والثناء كقوله :

فلك الفضائل من فنون محاسن بيضًا لإفراط الخِلاف وشيما[٣٩]

بل يظهر الشاعر الامتنان والشكر للممدوح على عطاياه التى رفعته وميزته عن غيره بعد أن كان خاملا مغمورا كقوله :

أُثنى عليك ثناء من أَلْفيتَهُ غُفْلاً فعاد بنعمةٍ موْسوما[٤٠]
وشكرتُ منك مواهبًا مشهورةً لو سِرْنَ فى فَلَكٍ لَكُنَّ نُجُوما

ولكنه مع الثناء الفياض ، ومع الشكر على هذه العطايا اللامعة كالكواكب نجده يستهل القصيدة بلفظ الخطوب ، وهو لفظ لا يلائم المدح ، ومع ذلك يمكن أن يقال إن الشكوى بما تحوى من ألفاظ تدل عليها قد نجدها فى مطلع كثير من القصائد ولو كانت مدحا بوصفها تقليدا ، ولكن الشئ الذى لا يدافع عنه هو (قول الجهول ألا تكون حليما ؟)[٤١] لأنه لا يدخل فى باب التقليد ، وليس هنا ما يناسبه أو يندرج